ولكننى أسمعك تقول :

مهما يكن من أمر العلم ، فهو إذا فرض ، كان مصدر فرضه وميزان تخمينه العقل البشرى ... ومن ينكر على العقل قوة منطقه وصحة أحكامه ؟...

وأنت تنسى أو تتناسى أن هذا « العقل » العظيم الذى أهناه حتى صلينا له وسبحنا ، ماهو إلا من صنع الفروض والتخمينات ، صغناه على هوانا ، ووفق مزاجنا ... وإلا فأخبرنى — يا رعاك الله — ماكنه هـــذا « العقل » ؟... كيف هو ؟ ... وأين هو ؟... على وجه التحديد الدقيق !...

من العسير يا صاحبى ، بل من رابع المستحيلات — كما يقولون — أن تدلل بالبرهان الحسى الملموس على حقيقة من الحقائق ، وعلة الاستحالة أن الحقائق الخالصة لا وجود لها فى عالمنا القاصر ، فهى وهمية نسبية ، متغيرة بتغير الزمان والمكان ، والعقول والأفهام !...

وإن المرء منا إذ لا يهوله هذا الأمر — أعنى خفاء الحقائق — وإذ يحس فى دنياه هذا « الفراغ » المخيف ، لتراه يعجل إلى خياله يستمد منه العون ، فيمـــده خياله الخصب بتلك الفروض والتخمينات ، يحاول بها ملء هذا الفراغ ، وتجلية ذلك الظلام ،